

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الخامسة والتسعون

البخاري (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، ذلك الفتى الذي أعجب المحدثين فكتبوا عنه وحكموه في الحديث ولم يجاوز سن الثامنة عشرة من عمره ، إنه محمد بن إسماعيل البخاري (رحمه الله) .

ومن العجائب في حياة هذا الفتى أنه يقدم على الشيوخ لينتفع بهم فيكون انتفاعهم به أكثر، وفي ذلك يقول : ما قدمت على أحد إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به .

وقد حاول أهل الحديث إعجازه فلم يستطيعوا ، قال أبو الأزهر: كان بسمرقند أربع مائة ممن يطلبون الحديث فاجتمعوا سبعة أيام واحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن .

وقال أخيد بن أبي جعفر والي بخارى قال محمد بن إسماعيل يوما رب حديث سمعته بالبصرة كتبه بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبه بمصر. فقلت له يا أبا عبد الله بكماله قال فسكت. وقال محمد بن أبي حاتم سمعت أبا عبد الله يقول ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت مصنفاتي من الحديث فإذا نحو مائتي ألف حديث مسندة.

وسمعه يقول كنت في مجلس الفريابي فقال حدثنا سفيان عن أبي عروة عن أبي الخطاب عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه في غسل واحد

فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة ولا أبا الخطاب فقلت أما أبو عروة فمَعَمَر وأبو الخطاب قتادة قال وكان الثوري فعولا لهذا يكني المشهورين .

قال محمد سمعت أبا عبد الله يقول دخلت بلخ فسألني أصحاب الحديث أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثا فأملت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم .

هذا كله يدل على قدرته على الحفظ مع حرصه على ضبط العلم . ولم يكن حفظ هذا الإمام مقصوراً على الأحاديث الصحاح بل يحفظ غير الصحاح ، يقول (رحمه الله) في هذا الشأن : " أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح .

وكان حفظه (رحمه الله) من القراءة مرة واحدة . عن أبي بكر الكلؤاذاني يقول ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلماء فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الأحاديث بمرّة .

لا شك أن القدرة على الحفظ موهبة من الله سبحانه وتعالى ، ولكن هناك أمور تعين الشاب على حفظ العلم وعلى رأسها تقوى الله وترك المعاصي ، ولعل فيما قاله الإمام الشافعي (رحمه الله) في ذلك عبرة وعظة لعموم الشباب ، فقد قال (رحمه الله) :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك العصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي

ولقد مر بنا فيما مضى من سيرة هذا الإمام أن الناس كانوا يغلبونه على نفسه فيجلس للتحديث ، ولكنه لم يجلس اختياراً للتحديث إلا بعد أن بلغ ما بلغ من العلم ، وفي ذلك يقول عن نفسه : " ما جلست للحدث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت في عامة كتب الرأي وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها فما تركت بها حديثاً صحيحاً إلا كتبتّه إلا ما لم يظهر لي " .

ومع هذه المكانة العالية في العلم فقد عرف له الناس قدره ، وعرف له أهل اعلم فضله فأثنوا عليه بما هو أهله حتى وهو في حداثة سنه .

قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم سمعت بعض أصحابي يقول كنت عند محمد بن سلام فدخل عليه محمد بن إسماعيل فلما خرج قال محمد بن سلام كلما دخل علي هذا الصبي تحيرت وألبس علي أمر الحديث وغيره ولا أزال خائفا ما لم يخرج.

قال أبو جعفر سمعت أبا عُمَرَ سُليمان بن مجاهد يقول كنت عند محمد بن سلام البيكدي، فقال: لو جئت قبلُ لرأيت صبياً يحفظ سبعين ألف حديث، قال فخرجت في طلبه حتى لحقته قال أنت الذي يقول إني أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم، وأكثر ولا أجئك بحديث من الصحابة والتابعين إلا عرفتكَ مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثاً من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي من ذلك أصل أحفظه حفظاً عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو جعفر قال لي بعض أصحابي كنت عند محمد بن سَلَام فدخل عليه محمد بن إسماعيل حين قدم من العراق فاخبره بمحنة الناس وما صنع ابن حنبل وغيره من الأمور فلما خرج من عنده قال محمد بن سلام لمن حضره أترون البكر أشد حياء من هذا .

وقال أبو جعفر سمعت يحيى بن جعفر يقول لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت فإن موتى يكون موت رجل واحد وموته ذهاب العلم .

قال محمد وسمعت عبد الله بن سعيد بن جعفر يقول لما مات أحمد بن حرب النيسابوري ركب محمد وإسحاق يشيعان جنازته فكنت أسمع أهل المعرفة بنيسابور ينظرون ويقولون محمد أفقه من إسحاق وقال سمعت عمر بن حفص الأشقر سمعت عبدان يقول ما رأيت بعيني شاباً أبصر من هذا وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل .

وقال سمعت إبراهيم بن خالد المروزي يقول قال مسدد لا تختاروا على محمد بن إسماعيل يا أهل خراسان .

كما كان (رحمه الله) يصحح للشيخ كتبهم . قال عبد الله بن يوسف للبخاري يا أبا عبد الله انظر في كتي وأخبرني بما فيها من السقط قال نعم .

وقال محمد حدثني محمد بن إسماعيل قال كنت إذا دخلت على سليمان بن حرب يقول بين لنا غلط شعبة .

وقال محمد بن أبي حاتم سمعت أبا عبد الله يقول ذاكربي أصحاب عمرو بن علي
الفلاس بحديث فقلت لا أعرفه فسروا بذلك وصاروا إلى عمرو فأخبروه فقال حديث لا يعرفه
محمد بن اسماعيل ليس بحديث .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .